وساوس العرب وتخيلاتها

لحضرة الكاتب البليغ محمد بك المويلحي

ختمنا الكلام في الجزء الماضي في ما تفعلهُ المرأة اذا لم تجد خاطباً وهو انها تنشر جانباً من شعرها وتكحل احدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وتحجل على احدى رجليها ومن ذلك قول بعضهم

قد كحلت عيناً واعفتْ عينا وحجلتْ ونشرتْ قُرَينا .
تظنُّ زيناً ما نراهُ شينا

وقال آخر

تصنَّعي ما شئتِ ان تصنَّعي وكحلي عينيكِ او لا فدعي
ثم احجلي في البيت او في المجمعِ مالكِ في بعْلٍ أرى من مطمعِ

وكانوا اذا رحل الضيف او غيرهُ واحبوا ان لا يعود كسروا شيئاً من الاواني وراءهُ قال بعضهم

كسرنا القدر بعد ابي سواحٍ فعاد وقدْرُنا ذهبتْ ضياعا

وقال آخر

ولا نكسر الكيزان في اثر ضيفنا ولكنا نقفيهِ زادًا ليرجعا

وقال آخر

اما والله انَّ بني نفيلٍ لحلاَّلون بالشرف اليفاعِ
اناسٌ ليس تُكسَرخلف ضيفٍ أوانيهم ولا شعب القصاعِ

وكانوا يقولون في الدعاء لا عشتَ الاَّ عيش القراد يضربونهُ مثلاً في الشدة والصبر على المشقة ويزعمون ان القراد يعيش ببطنهِ عاماً وبظهرهِ عاماً ويقولون انهُ يُترك في طينةٍ ويُرمى بها الحائط فيبقى سنة على بطنهِ وسنة على ظهرهِ ولا يموت قال بعضهم

فلا عشتَ الاَّ كعيش القرادِ عاماً ببطنٍ وعاماً بظهرِ

وكانت النساء اذا غاب عنهنَّ من يحببنهُ اخذنَ تراباً من موضع قدمهِ ويزعمن ان ذلك اسرع في رجوعهِ قالت امرأة

اخذتُ تراباً من مواطيء رجلهِ غداة غدٍ كيما يؤوب مسلِّما

ومن خرافاتهم انهم كانوا يعتقدون ان الورل والقنفذ والارنب والظبي واليربوع والنعام مراكب الجن يمتطونها ولهم في ذلك اشعار مشهورة . ويزعمون انهم يرون الجن ويظاهرونهم ويخاطبونهم ويشاهدون الغول وربما تزوجوها . وقالوا ان عمرو بن يربوع تزوج الغول واولدها بنين ومكثت عندهُ دهرًا فكانت تقول لهُ اذا لاح البرق من جهة بلادي وهي جهة كذا فاسترهُ عني فان لم تستره عني تركت ولدك عليك وطرتُ الى بلاد قومي فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائهِ فلا تبصرهُ . والى هذا المعنى اشار ابو العلاء المعري في قولهِ يذكر الابل وحنينها الى البرق

طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهنًا مالهنَّ ومالي
سمت نحوهُ الابصار حتى كأنها بنارية من هنَّا وثمَّ صوالي
اذا طال عنها سرُّها لو رؤوسها تمدّ اليهِ في رؤوس عوالي
تمنّت قويقًا والصراة حيالها تراب لها من ابنق وجمال
اذا لاح ايماض سترت وجوهها كافيَ عمرو والمطي سعالي

(السعالي جمع سعلاة وهي الغول) قالوا فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت وقالت لهُ وهي تطير

امسك بنيك عمرو اني آبق برق على ارض السعالي آلق

قالوا فبنو عمرو بن يربوع يدعون بني السعلاة ولذلك قال الشاعر يهجوهم

ياقبح الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات (س)
ليسوا بابطال ولا اكياث (س)

فابدل السين تاء في القافيتين وهي لغة قوم من العرب

ويقولون في الغول انها اذا ضُربت ضربة واحدة بالسيف هلكت فان ضربت ثانية عاشت والى هذا المعنى اشار الشاعر بقولهِ

فقالت ثنِّ قلت لها رويدًا مكانك انني ثبتُ الجنانِ

وكانت العرب تسمي اصوات الجن العزيف وتقول ان الرجل اذا قتل قنفذًا أو ورلاً لم يأمن الجن على نخل ابلهِ واذا اصاب ابلهُ خطب او بلاء حملهُ على ذلك ويزعمون انهم يسمعون الهاتف بذلك . ويقولون مثلهُ في الجان (وهو نوع من الحيات) وقتلهُ عندهم عظيم . قال ابو عثمان الجاحظ وكانوا يسمون من يجاور منهم الناس عامرًا والجمع عمار

فان تعرض للصبيان فهو روح فان خبث وتعرّم فهو شيطان فان زاد على ذلك فهو مارد فان زاد على ذلك في القوة فهو عفريت فان طهر ولطف وصار خيرًا كلهُ فهو ملَك ويفاضلون بينهم ويعتقدون مع كل شاعر شيطانًا ويسمونهم بأسماء مختلفة . قال ابو عثمان وفي النهار ساعات يرى فيها الصغير كبيرًا ويوجد لأواسط الفيافي والرمال والحرار مثل الدويّ وهو طبع ذلك الوقت قال ذو الرمة

اذا قال حادينا لترنيم نبأةٍ صهٍ لم يكن الاّ دويّ المسامع

(النبأة الصوت الخفي يقول اذا قال حادينا صهٍ لما يسمعهُ من ترديد الصوت الخفي لم يُسمع شيءٌ الاّ كثرة الصوت وتعددهُ ودويهُ كأن الجن لزجرهِ اياهم يخلفون فتعلو اصواتهم ودويهم) . وقال ابو عثمان ايضاً في الذين يذكرون عزيف الجن وتقوّل الغيلان ان اثر هذا الامر وابتداء هذا الخيال ان القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشيّة ومن انفرد وطال مقامهُ في البلاد الخلاء استوحش ولا سيما مع قلة الاشغال وفقد المذاكرين . والوحدة لا تقطع ايامها الاّ بالتمني والافكار وذلك احد اسباب الوسواس

وكانوا يعتقدون الاعتقاد العجيب في الديك والغراب والحمامة وساق حر (وهو الحديل او اليمام) والحيّة فمنهم من يعتقد ان للجن بهذهِ الحيوانات تعلقاً ومنهم من يزعم انها نوع من الجن ويعتقدون ان سهيلاً والزهرة والضبّ والذئب والضبع مسوخ . ومن اشعارهم في مراكب الجن قول بعضهم في قنفذ رآهُ ليلاً

فما يعجب الجنّان منك عدمتهم وفي الاسد افراس لهم ونجائبُ
ايسرج يربوع ويلجم قنفذ لقد اعوزتكم ما علمت النجائبُ
فان كانت الجنان جنت فبالحري ولا ذنب للاقوام والله غالبُ

ومن الشعر المنسوب الى الجن

وكلّ المطايا قد ركبنا فلم نجد الذّ واشهى من ركوب الارانبِ

وقال اعرابي يكذب بذلك

ايسمع الامرار راكب قنفذٍ لقد ضاع سرّ الله يا ام معبدِ

ومن اشعارهم واحاديثهم في رؤية الجن وخطابهم وهتافهم ما رواهُ ابو عثمان الجاحظ قال السمير بن الحارث الضبي

ونار قد حضأت بُعيد وهنٍ بدارٍ لا اريد بها مقاما

سوى تجليل راحلة وعينٍ اكالئها مخافة ان تنامـا
اتوا ناري فقلت منُونَ انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

ويزعمون ان عمير بن ضبيعة رأى غلمانًا ثلاثة يلعبون نهارًا فوثب غلام منهم فقام على عاتقَي صاحبهِ ووثب الآخر فقام على عاتقي الاعلى منهما فلما رآهم كذلك حمل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يضحكون فقال عمير بن ضبيعة فما مررت يومئذ بشجرة الاَّ وسمعت من تحتها ضحكًا. فلما رجع الى منزلهِ مرض اربعة اشهر

وحكى الاصمعي عن بعضهم انهُ خرج هو وصاحب لهُ يسيران فاذا غلام على الطريق فقالا لهُ من انت قال انا مسكين قد قُطع بي فقال احدهما لصاحبهِ اردفهُ خلفك فاردفهُ فالتفت الآخر اليهِ فرأى فمهُ يتأجج نارًا فشد عليهِ بالسيف فذهبت النار فرجع عنهُ ثم التفت فرأى فمهُ يتأجج نارًا فشد عليهِ فذهبت النار ففعل ذلك مرارًا فقال ذلك الغلام قاتلكما الله ما اجلدكما والله ما فعلتها بآدمي الاَّ وانخلع فؤادهُ ثم غاب عنهما فلم يعلما خبرهُ

ويروى لتأبط شرًّا قولهُ

الا من مبلغ فتيات جهم بما لاقيت عند رحا بطانِ
باني قد لقيتُ الغول تهوي بسهبٍ كالصحيفة صحصحانِ
وصدَّت فانتحيت لها بعضب حسام غير مؤتشب يمانِ
فقدَّ سراتها والبوك منها نفرت لليدين وللجرانِ
فقالت ثنِ قلت لها رويدًا مكانكِ انني ثبت الجنان
ولم انفك مضطجعًا لديها لانظر مصبحًا ماذا دهاني
اذا عينانِ في رأس دقيق كرأس الهر مشقوق اللسانِ
وساق مخدج ولسان كلب وثوب من عباء او شنانِ

وقال البهراني

وتزوجت في الشيبة غولاً بغزال وصدقتي زقُّ خمر

قال الجاحظ اصدقها الخمر لطيب ريحها والغزال لانهُ من مراكب الجن. وقال ابو عبيد بن ايوب المنبري احد لصوص العرب

نقول وقد ألمت بالامس لمة مخضبةُ الاطراف خرس الخلاخلِ
أهذا خدين الغول والذئب والذي بهم بربات الحجال الهراكلِ

وقال آخر ايضًا

فللهِ در القول اسبى رفيقة لصاحب قفر في المهامه يذعرُ
أرنَّت بلحن بعد لحن واوقدت حواليَّ نيرانًا تلوح وتزهرُ

وقال ايضاً

فقد لاقت النزلان مني بلية وقد لاقت الفيلان مني الدواهيا

وقال البهراني في قتل الفول

ضُربتْ ضربة فصارت هباءً في محاق القمراء آخر شهر

وقال يزعم انهُ لما ثنى عليها الضرب عاشت

فثنيت والمقدار يحرس اهلهُ فليت يميني يوم ذلك شُلَّتِ

وكانوا اذا طالت علة الواحد منهم وظنوا ان به مسًّا من الجن لانهُ قتل حيَّة او يربوعاً او تنفذًا عملوا جمالاً من طين وجعلوا عليها جوالقًا وملاؤها حنطة وشعيرًا وتمرًا وجعلوا تلك الجمال في باب غار الى جهة المغرب وقت غروب الشمس وباتوا ليلتهم تلك فاذا اصبحوا نظروا الى تلك الجمال الطين فان رأوا انها على حالها قالوا لم تقبل الدية فزادوا فيها وان رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من الميرة قالوا قد قبلت الدية واستدلوا على شفاء المريض وفرحوا وضربوا بالدف . قال بعضهم

قالوا وقد طال عنائي والسقمْ احمل الى الجن جمالات وضمْ
فقد فعلت والسقام لم يرمْ فبالذي يملك برئي اعتصمْ

وقال آخر

فبالت ان الجن جازوا حمالتي وزحزح عني ما عناني من السقمِ
وباليتهم قالوا أنِطنا بما حوتْ يمينك في حرّب غماس وفي سلمِ
اعلّل قلبي بالذي يزعمونهُ فباليتني عوفيتُ في ذلك الزعمِ

وقال آخر

ارى ان جنّان النويرة اصبحوا وهم بين غضبان عليَّ وآسفِ
حملت ولم تقبل البهم حمالةً تسكن عن قلب من السقم تالفِ
ولو انصفوا لم يطلبوا غير حقهم ومن ليَ من اشالهم بالتناصفِ
تغطوا بثوب الارض عني ولو بدوا لاصبحت منهم آمنًا غير خائفِ

وستأتي تتمة الكلام على هذا الموضوع في الجزء التالي